
حكايات جزائريّة
الصّداقة الحقيقيّة
CHIHAB Kids

حكايات جزائرية

الصّداقة الحقيقيّة





ردمك : 4-287-39-9947-978

الإيداع القانوني : السداسي الأول، 2018.

حكايات جزائرية

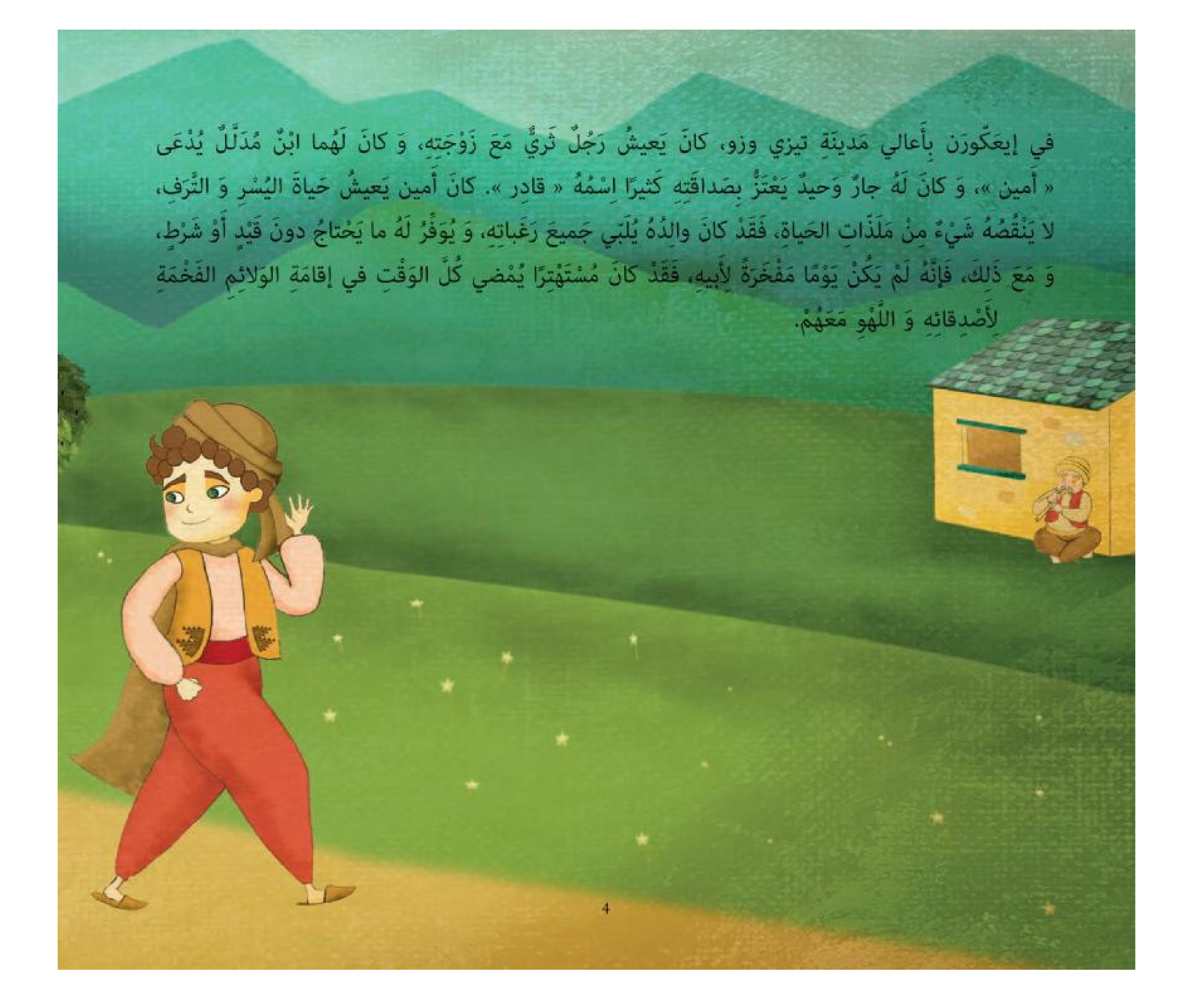
الصّداقة الحقيقيّة



قصص جمعتها : وردة عكيف

الترجمة : شهرزاد صغير
مراجعة : محمد أمير لعرابي
رسوم : نشوى جغري





فِي إيعَكّورَن بِأَعالي مَدينَةِ تيزي وزو، كانَ يَعيشُ رَجُلٌ ثَرِيٌّ مَعَ زَوْجَتِهِ، وَ كانَ لَهُما ابْنٌ مُدَلَّلٌ يُدْعَى « أَمين »، وَ كانَ لَهُ جارٌ وَحيدٌ يَعْتَزُّ بِصَداقَتِهِ كَثيرًا اِسْمُهُ « قادِر ». كانَ أَمين يَعيشُ حَياةَ اليُسْرِ وَ التَّرَفِ، لا يَنْقُصُهُ شَيْءٌ مِنْ مَلَذّاتِ الحَياةِ، فَقَدْ كانَ والِدُهُ يُلَبّي جَميعَ رَغَباتِهِ، وَ يُوَفِّرُ لَهُ ما يَحْتاجُ دونَ قَيْدٍ أَوْ شَرْطٍ، وَ مَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا مَفْخَرَةً لِأَبيهِ، فَقَدْ كانَ مُسْتَهْتِرًا يُمْضي كُلَّ الوَقْتِ في إِقامَةِ الوَلائِمِ الفَخْمَةِ لِأَصْدِقائِهِ وَ اللَّهْوِ مَعَهُمْ.



قَلِقَ والِدُ أَمين بِشَأْنِ أُسْلوبِ حَياةِ ابْنِهِ، فَفَكَّرَ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ حالِهِ الَّتي كانَتْ تَزْدادُ سوءًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ؛ فَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ يَوْمًا قائِلًا : « أَتَعْلَمُ كَمْ أَشْقَى لِأَجْمَعَ هَذا المَالَ الَّذي تُنْفِقُهُ كَما يَحْلو لَكَ ؟ ».

قال أَمين : « أَنْتَ مَنْ يُعْطيني المالَ في كُلِّ مَرَّةٍ يا أَبي ! ».

الوالِدُ : « أَعْرِفُ ذَلِكَ، لَكِنَّكَ تُسْرِفُ كَثيرًا في إِنْفاقِهِ ! ».

أَمين : « ماذا تَعْني بِذَلِكَ يا أَبي ؟ ».

الوالِدُ : « أَعْني أَنَّ الوَقْتَ قَدْ حانَ لِتَتَصَرَّفَ كَرَجُلٍ، أَبْصِرْ حَوْلَكَ وَ قُلْ لي، أَتَعْتَقِدُ أَنَّ أَصْدِقاءَكَ يَرْغَبونَ بِكَ لَوْلا المالُ الَّذي لَدَيْكَ ؟ ».

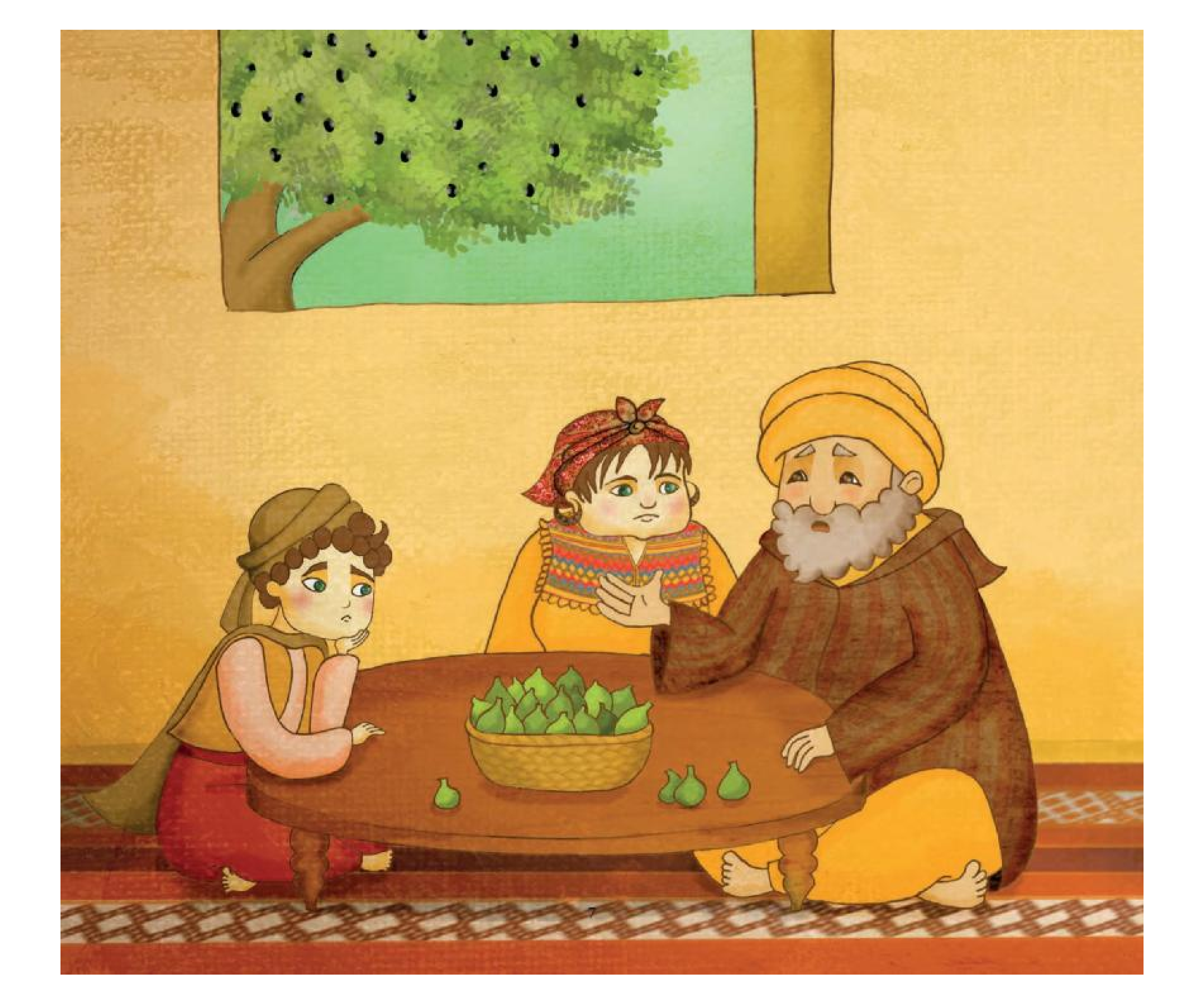
أَمين : « لا شَكَّ في ذَلِكَ، فَهُمْ يَسْتَجيبونَ لي كُلَّما احْتَجْتُ إِلَيْهِمْ ».

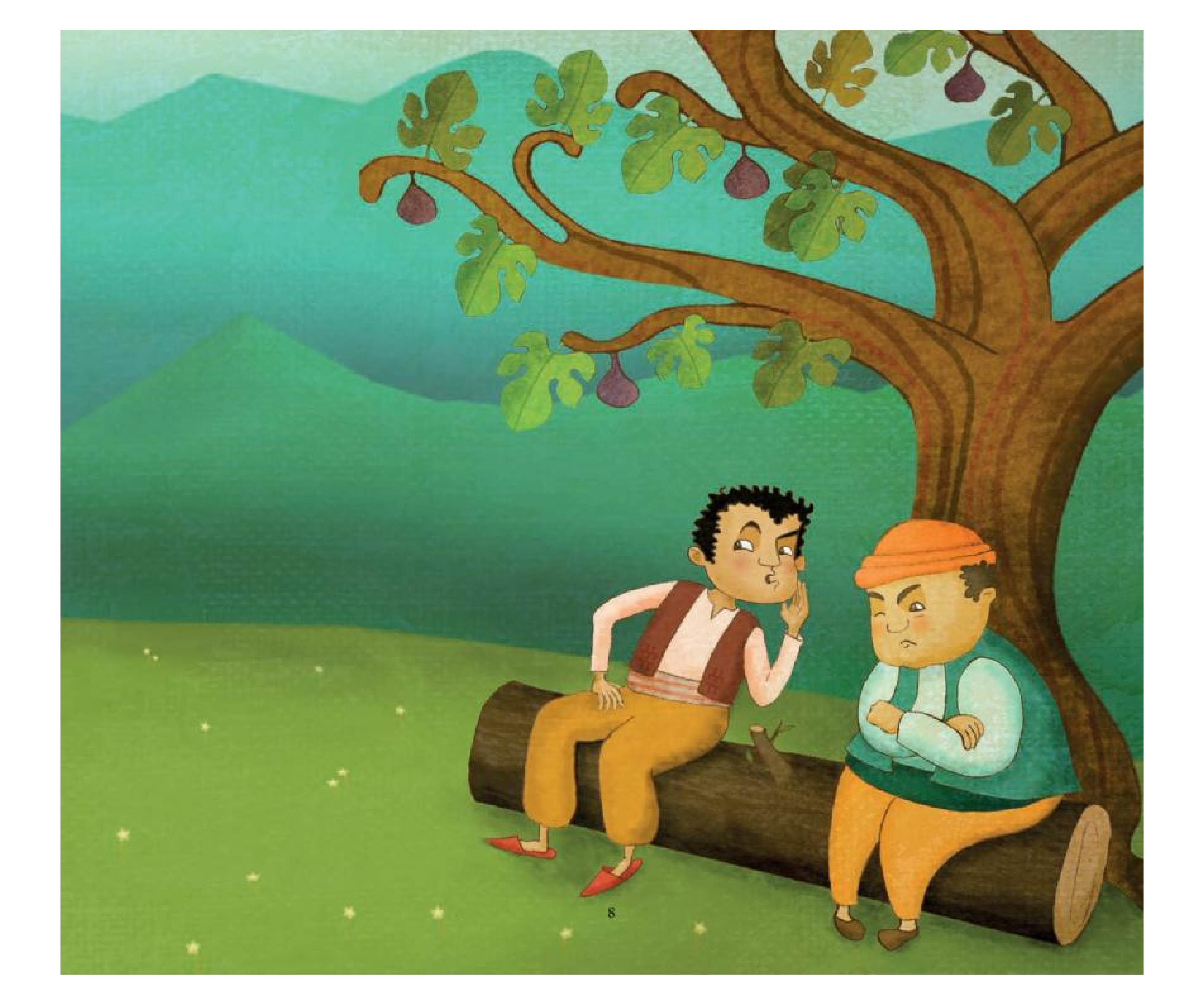
الوالِدُ : « لِمَ لا تَخْتَبِرُهُمْ لِتَعْرِفَ إِنْ كانوا يَسْتَحِقّونَ صَداقَتَكَ أَمْ لا ؟ ».

أَطْرَقَ أَمين هُنَيْهَةً ثُمَّ قالَ : « حَسَنًا، لَكِنْ كَيْفَ أَخْتَبِرُهُمْ ؟ ».

قالَ الوالِدُ : « ابْتِداءً مِنَ الغَدِ يا بُنَيَّ سَتُصْبِحُ مُفْلِسًا وَ لَا مالَ لَدَيْكَ. قُمْ بِاسْتِدْعاءِ أَصْدِقائِكَ وَ أَخْبِرْهُمْ بِمُصابِكَ لِنَرَى إِنْ كانُوا جَديرينَ بِصَداقَتِكَ ».









قَبِلَ أَمين فِكْرَةَ أَبيهِ، وَ في يَوْمِ الغَدِ اسْتَيْقَظَ كَعادَتِهِ، وَ ذَهَبَ لِرُؤْيَةِ أَصْدِقائِهِ لِيُخْبِرَهُمْ بِأَنَّ والِدَهُ قَدْ أَفْلَسَ، وَ أَنَّهُ لَنْ يَتَمَكَّنَ بَعْدَ الآن مِنَ الإنْفاقِ مِثْلَما كانَ، وَ لِيَطْلُبَ مِنْهُمْ مُساعَدَتَهُ عَلَى تَجاوُزِ هَذِهِ المِحْنَةِ، لَكِنَّ أَصْدِقاءَهُ كُلَّهُمْ اِعْتَذَروا لِأَسْبابٍ مُخْتَلِفَةٍ !

عادَ أَمين إلَى البَيْتِ خائِبًا، فَلَمّا رَآهُ والِدُهُ عَلَى هَذِهِ الحالِ أَدْرَكَ بِأَنَّ أَصْدِقاءَهُ قَدْ خَذَلوهُ، فَسَأَلَهُ قائِلًا :

« إذَنْ يا بُنَيَّ، ماذا حَدَثَ مَعَ أَصْدِقائِكَ ؟ ».



قَصَّ أَمين عَلَى والِدِهِ ما كانَ مِنْ أَمْرِ أَصْدِقائِهِ، فَقالَ لَهُ : « سَأَذْبَحُ خَروفًا ثُمَّ أُغَلِّفُهُ بِشَكْلٍ جَيِّدٍ حَتَّى لا يَظْهَرَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَ أَنْتَ اذْهَبْ بِهِ إِلَى أَصْدِقائِكَ، وَ أَخْبِرْهُمْ بِأَنَّني قَتَلْتُ أَحَدَ الرِّجالِ خَطَأً، وَ تُريدُهُمْ أَنْ يُساعِدوكَ عَلَى دَفْنِهِ لِأَنَّكَ تَخْشَى عَلَيَّ وَ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الثَّأْرِ ».

قَال أَمين بِنَبْرَةٍ يائِسَةٍ : « خابَ ظَنّي بِهِمْ جَميعًا، إِنْ لَقيتُ أَحَدَهُمْ صُدْفَةً فَسَيَعْتَذِرُ مِنّي وَ يَفِرُّ هارِبًا ».

قالَ الوالِدُ : « أَعْلَمُ ذَلِكَ يا بُنَيَّ، لَوْ عَلِمَ هَؤُلاءِ الجاحِدونَ بِأَنَّ في الأَمْرِ خُدْعَةً لَعادُوا إِلَى صَداقَتِكَ دونَ تَرَدُّدٍ، لَكِنْ قَبْلَ هَذا، أُريدُكَ أَنْ تَمْتَحِنَ قِلَّةَ وَفائِهِمْ، هَيّا يا بُنَيَّ، لَعَلَّكَ تَجِدُ بَيْنَهُمْ مَنْ يَكِنُّ لَكَ بَعْضَ مَشاعِرِ الاِمْتِنانِ ».

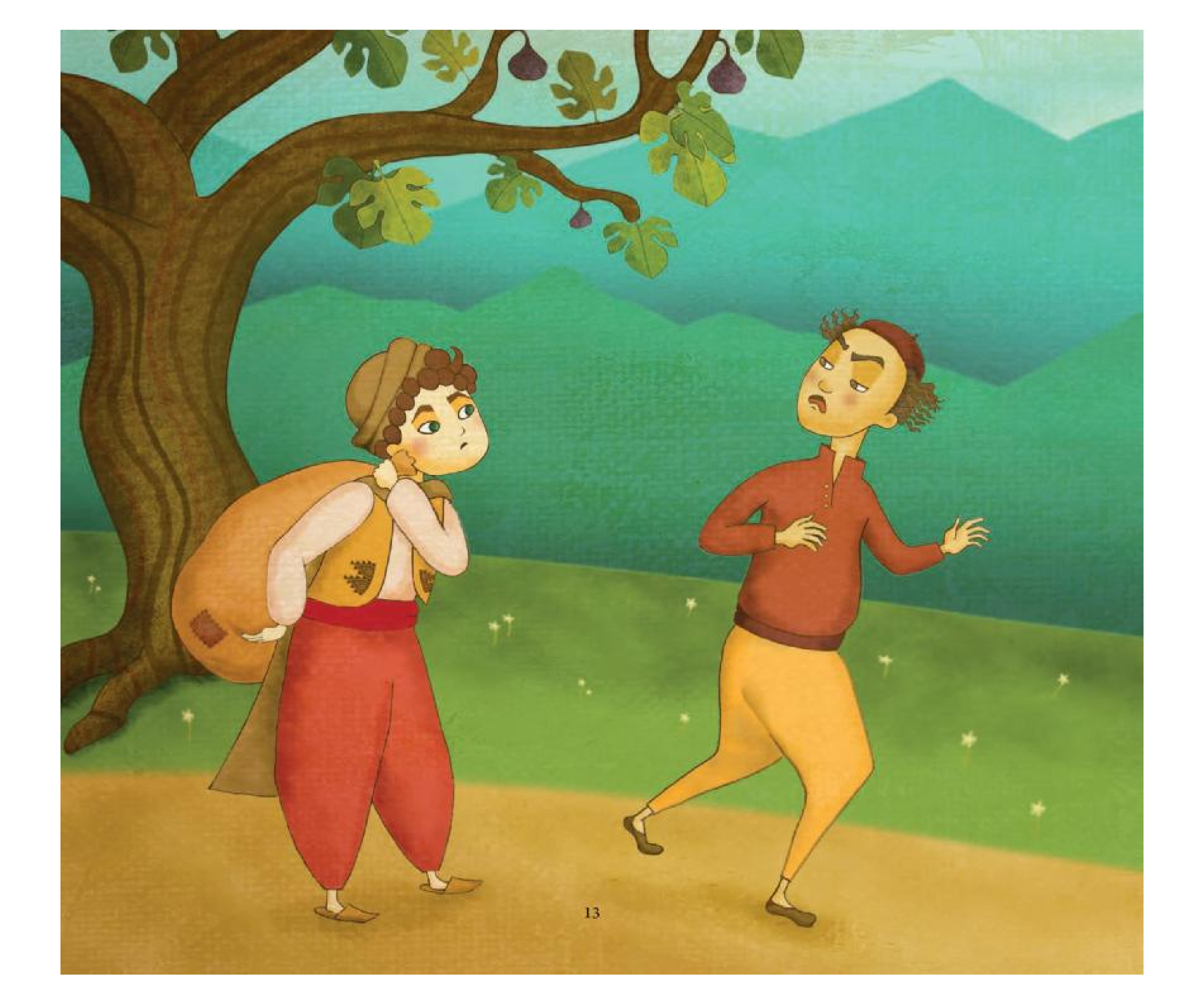


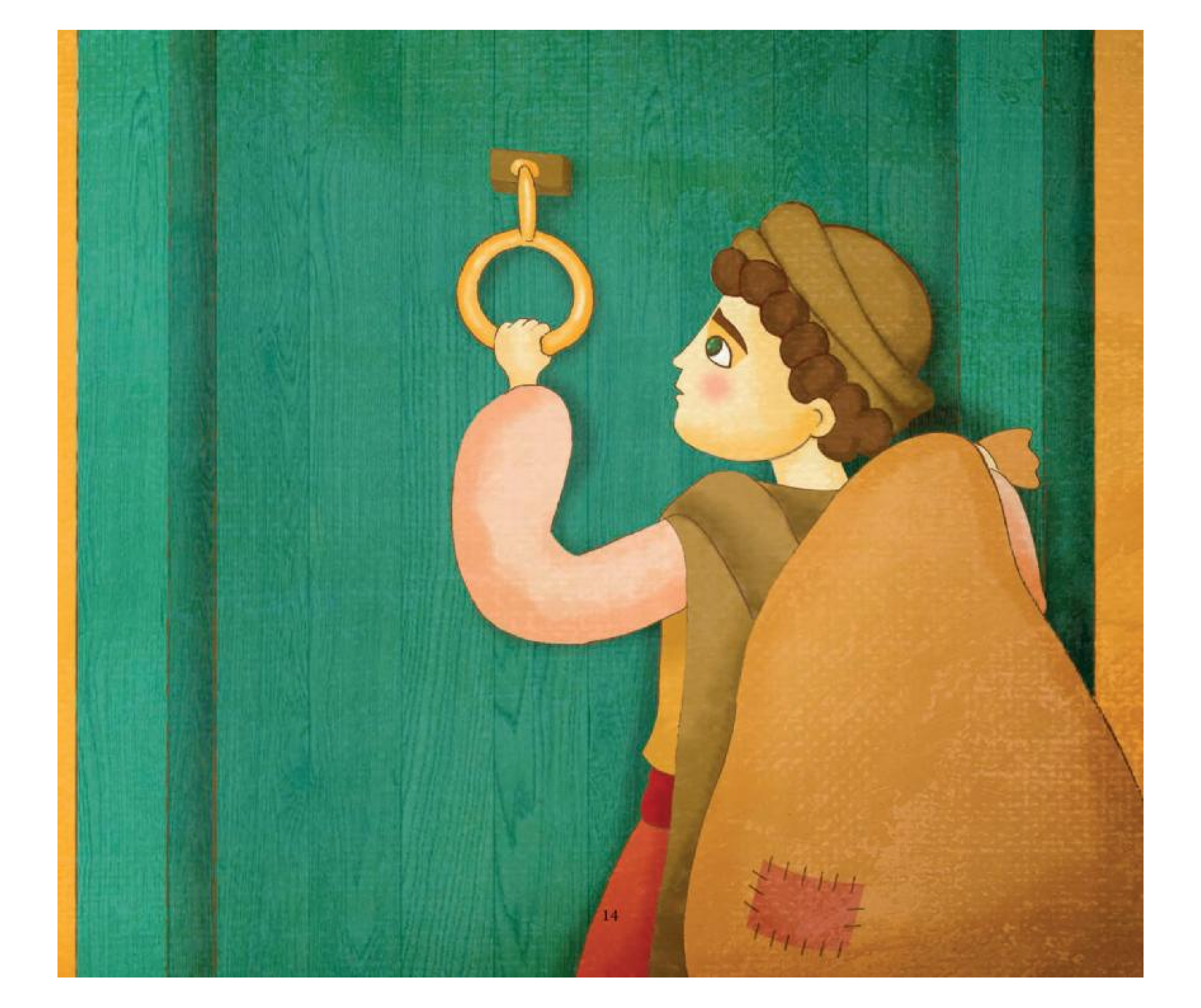
وَ في الغَدِ، أَخَذَ أمين الخَروفَ المَذْبوحَ المُغَلَّفَ، وَ راحَ يَقْرَعُ بابَ أَحَدِ أَصْدِقائِهِ قائِلًا : « اِفْتَحِ البابَ يا صَديقي، أَنا أَمين ».

فَلَمّا فَتَحَ البابَ، قالَ لِصاحِبِهِ : « عَلَيْكَ أَنْ تُساعِدَني، قَتَلَ أَبي أَحَدَ الرِّجالِ خَطَأً، وَ أُريدُكَ أَنْ تُعينَني عَلَى دَفْنِه... ».

أَغْلَقَ الصَّديقُ المَزْعومُ البابَ في وَجْهِهِ، وَ هَدَّدَهُ بِأَنْ يَفْضَحَهُ أَمامَ النّاسِ. أَكْمَلَ أَمين طَريقَهُ، فَالْتَقى بِصَديقٍ آخَرَ، لَكِنَّ هَذا الأَخيرَ تَجاهَلَهُ تَمامًا، فَأَوْقَفَهُ أَمين وَ رَجاهُ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الحِمْلِ الَّذي عَلَى ظَهْرِهِ، وَ قَبْلَ أَنْ يُكْمِلَ حَديثَهُ تَرَكَهُ وَ فَرَّ هارِبًا، وَ هَكَذا شَأْنُ جَميعِ أَصْدِقائِهِ.

شَعَرَ أَمين بِخَيْبَةِ أَمَلٍ كَبيرَةٍ، فَعادَ إلى البَيْتِ بِقَلْبٍ مُثْقَلٍ بِالحَسْرَةِ وَ الأَلَمِ، وَ لَمّا سَأَلَهُ والِدُهُ عَمّا جَرَى قالَ لَهُ : « اِدَّعَى مُعْظَمُهُمْ عَدَمَ رُؤْيَتي مِنْ قَبْلُ، وَ أَنْكَروا مَعْرِفَتي، لَقَدْ صَدَقْتَ فيما قُلْتَ يا أَبي، إِنَّهُمْ لا يَرْغَبونَ إِلّا في مالي، مِنَ اليَوْمِ فَصاعِدًا، سَأَتَخَلّى عَنْ صُحْبَتِهِمْ جَميعًا.





اِسْتاءَ والِدُ أَمين مِنْ تَصَرُّفِ أَصْدِقاءِ ابْنِهِ وَ نُكْرانِهِمْ لِلْجَميلِ، فَقالَ : « اسْمَعْ يا أَمين، لَمْ يَبْقَ لَدَيْكَ صَديقٌ جَديرٌ بِهَذا الاِسْمِ، أَمَّا أَنا فَلَيْسَ لَدَيَّ إِلَّا صَديقٌ واحِدٌ هُوَ جارُنا قادِر، خُذِ الخَروفَ وَ اذْهَبْ إِلَيهِ، وَ اطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ هَذِهِ الوَرْطَةِ ».

خَرَجَ أَمين وَ هُوَ يَحْمِلُ الخَروفَ عَلى ظَهْرِهِ قاصِدًا بَيْتَ صَديقِ والِدِهِ، دَقَّ البابَ فَفَتَحَ لَهُ وَ قالَ مُسْتَغْرِبًا : « تَفَضَّلْ يا بُنَيَّ، ماذا لَدَيْكَ لِتُخْبِرَني بِهِ ؟! ».

قال أَمين : « لَا يُمْكِنُني الدُّخولُ فَأَنا في عَجَلَةٍ مِنْ أَمْري، عَلَيَّ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ هَذا الحِمْلِ الَّذي عَلى ظَهْري، قَتَلَ أَبي أَحَدَ الرِّجالِ خَطَأً، وَ أَرْجو أَنْ تُساعِدَني في دَفْنِهِ، أَنا خائِفٌ وَ لا أَعْرِفُ ما عَلَيَّ فِعْلُهُ ».

وَ دونَ أَنْ يُفَكِّر، دَخَلَ قادِر إِلى بَيْتِهِ مُسْرِعًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ حامِلًا بِيَدِهِ رَفْشًا وَ مِعْزَقَةً، وَ قالَ لَهُ : « لا تَقْلَقْ يا بُنَيَّ، لَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِما حَدَثَ ».



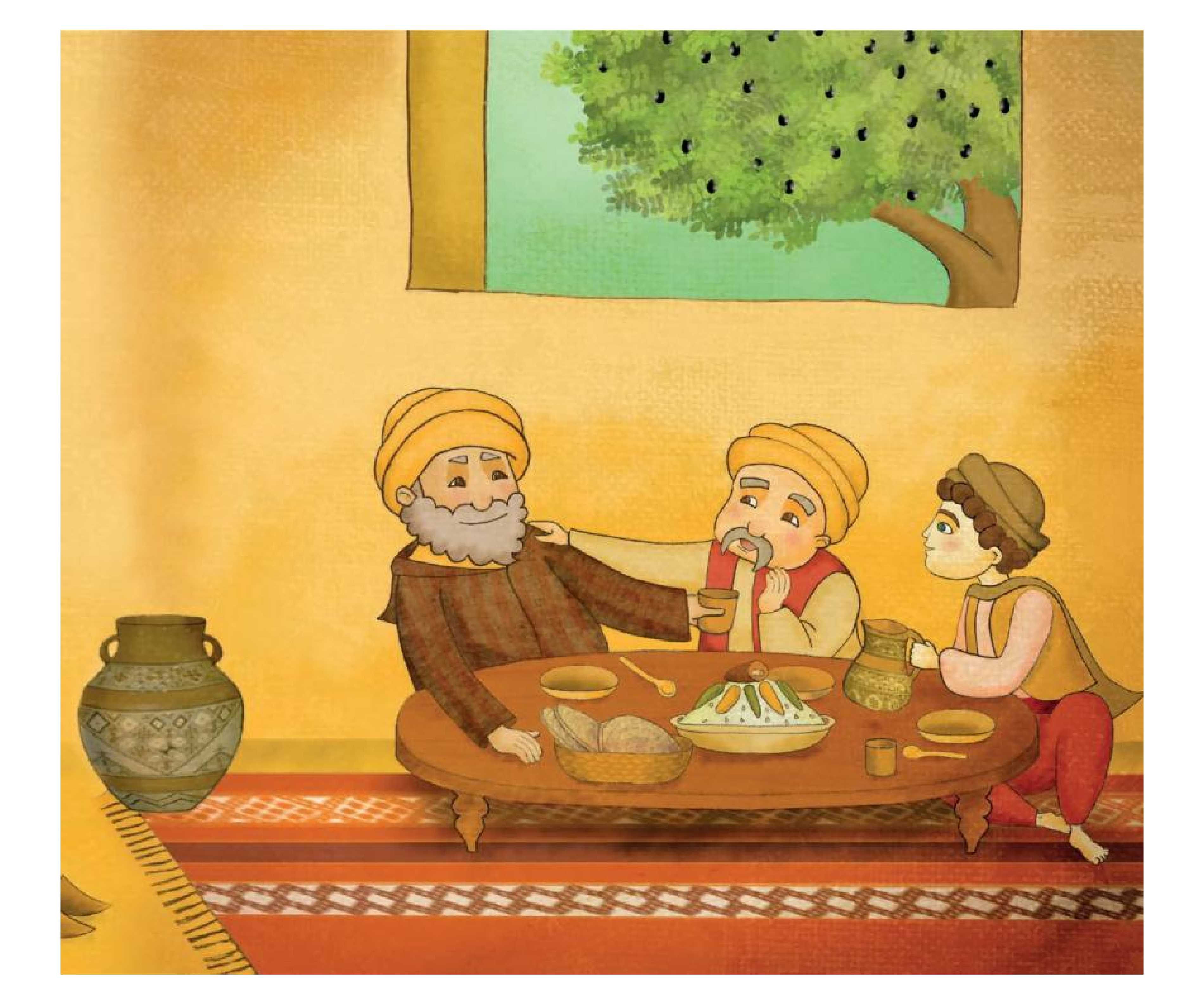


شَرَعَ قادِر بِالحَفْرِ، فَأَمْسَكَ أَمين بِيَدِهِ فَقال لَهُ : « هَيّا يا بُنَيَّ، يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ قَبْلَ أَنْ يُباغِتَنا أَحَدٌ، ثُمَّ أَيْنَ هُوَ أَبوكَ ؟ هَلْ هُوَ بِخَيْرٍ ؟ ».

في هَذِهِ الأَثْناءِ، دَخَلَ والِدُ أَمين الَّذي كانَ يُتابِعُ المَشْهَدَ مِنْ بَيْتِهِ، ثُمَّ عانَقَ صَديقَهُ قادِر وَ شَكَرَهُ عَلَى مَوْقِفِهِ النَّبيل.

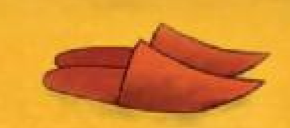
وَقَفَ قادِر مَذْهولًا وَ قالَ لِصَديقِهِ : « ما الَّذي يَحْدُثُ هُنا ؟ يَحْضُرُ ابْنُكَ لِيَطْلُبَ المُساعَدَةَ، ثُمَّ تَأْتي مُبْتَسِمًا لِتَشْكُرَني عَلى ما فَعَلْتُ ! أَنا لا أَفْهَمُ شَيْئًا ! ».

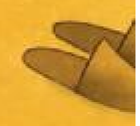
تَبَسَّمَ والِدُ أَمين ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَكْشِفَ لابْنِهِ حَقيقَةَ مَنْ يَدَّعونَ صَداقَتَهُ، وَ هُمْ في الواقِعِ يَنْتَفِعونَ بِمالِهِ فَقَطْ، كَما أَخْبَرَهُ بِأَنَّ في الكيسِ خَروفًا وَ لَيْسَ رَجُلًا.



اقْتَرَبَ قادِر مِنَ الجُثَّةِ، فَوَجَدَ أَنَّ في الكِيسِ خَروفًا بِالفِعْلِ، أَخْرَجَ نَفَسًا عَميقًا ثُمَّ قالَ لِأَمين : « هَذا دَرْسٌ لَكَ يا بُنَيَّ، أَرْجو أَنْ تَعْتَبِرَ بِما حَدَثَ مَعَكَ، وَ تَعْلَمَ أَنَّ الصَّديقَ الحَقيقِيَّ هُوَ مَنْ يَكونُ إِلى جانِبِكَ وَقْتَ الشِّدَّةِ وَ وَقْتَ الرَّخاءِ ».

عَلى إِثْرِ هَذا، دَعا والِدُ أَمين صَديقَهُ قادِر لِتَناوُلِ العَشاءِ، فَاجْتَمَعَ ثَلاثَتُهُمْ حَوْلَ مائِدَةٍ عَلَيْها أَشْهَى أَنْواعِ الطَّعامِ. وَ مُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ، تَغَيَّرَتْ عاداتُ أَمين وَ طِباعُهُ فَصارَ بِذَلِكَ فَخْرًا لِأَبيهِ.





ضمن نفس السلسلة















